مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أفسس ٢:١٤-٢٢)

يا إخوةُ إنَّ المسيحَ هو سلامُنا هو جعلَ الإثنينِ واحداً ونَقَضَ في جسدِهِ حائطَ السِّياجِ الحاجزَ أي العداوة* وأبطلَ ناموسَ الوصايا في فرائضِهِ ليخلُقَ الإثنينِ في نفسِهِ إنساناً واحداً جديداً بإجرائِهِ السلام* ويُصالحَ كلَيْهما في جسدٍ واحدٍ معَ اللهِ في الصليبِ بقَتلِهِ العداوةَ في نفسِه* فجاءَ وبشَّركم بالسلامِ البعيدينَ منكم والقريبين* لأنَّ بهِ لنا كِلَيْنا التوصُّلَ إلى الآبِ في روحٍ واحد* فلستُم غرباءَ بعدُ ونُزَلاءَ بل مواطِني القديسينَ وأهلَ بيتِ الله* وقد بُنيتم على أساسِ الرسلِ والأنبياءِ وحجرِ الزاويةِ هو يسوعُ المسيحُ نفسُهُ* الذي بهِ يُنسَقُ البُنيانُ كُلُّهُ فينمو هيكلاً مقدَّساً في الربّ* وفيه أنتم أيضاً تُبنَون معاً مسكِناً للهِ في الروح.

حول الرسالة

تتسم رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس بموضوعها العام الذي يهمّ كنيسة المسيح كلها وليس فقط كنيسة محلية محددة أو فئة واحدة من المؤمنين. الموضوع العام الذي تتضمنه هذه الرسالة هو تحقيق تدبير الله الخلاصي داخل التاريخ البشري بتأسيس الكنيسة التي يتوحّد فيها اليهود والوثنيون، الأعداء قبلاً، ويشكّلون جسدًا واحدًا.

أما المقطع الذي يُتلى على مسامعنا في هذا اليوم فيركّز على السلام المُعاش في الكنيسة التي يجتمع فيها اليهود والوثنيون ويصبحون بناءً واحدًا مبنياً على أساس بشارة الرسل والأنبياء ويكون المسيح هو حجر الزاوية.

ما هو هذا السلام وكيف نحصل عليه؟

الأمر المتعارف عليه هو أن السلام يعني غياب العداوة، فالإنسان يكون في حرب دائمة مع عدوّه وفي سلم مع صديقه أو قريبه. بالتالي من أراد أن يحصل على السلام عليه أن يجعل كل إنسان قريبه وذلك على مثال ما علّمنا الرب يسوع في مَثَل السامري الشفوق (لو ١٠: ٢٥-٣٧). هكذا أصبح المسيح هو سلامنا (أف ٢:١٤) لأنه أصبح قريبًا من كل إنسان وجمع الكل في نفسه من خلال موته على الصليب وهذا قمة التواضع. إن التواضع الذي عاشه الربّ يسوع أساسي جدًا إذا أردنا أن نتعلّم المحبة التي تؤدي إلى السلام، وبشكل خاص محبة الأعداء. هذا ما سعى الرسول بولس أن يعلّمه لليهود والأمميين معاً إذ قال لهم: «لذلك اذكروا أنكمْ أنتمُ الأممَ قبلاً في الجسدِ المدعوّينَ غُرْلَةً مِنَ المدعوِّ ختانًا مصنوعًا باليدِ في الجسد انَّكم كنتم في ذلك الوقت بدون مسيح أجنبيين عن رعويَّة إسرائيل...» (أف ٢:١١-١٢). فالناس كانوا قبل المسيح مجموعتين:

١. اليهود الذين كانوا شعب الله المختار الذي يتمتع بالمواعيد. هؤلاء سحق بولس الرسول كبرياءهم بقوله أن ختانتهم كانت مصنوعة باليد في الجسد، أي بشرية وليست إلهية.

٢. الأمم أو الوثنيون الذين كان يدعوهم اليهود «غرلة» والذين كانوا قبلاً «بدون مسيح أجنبيين عن رعوية إسرائيل وغرباء عن عهود الموعد لا رجاء لكم وبلا إله في العالم» (أف٢: ١٢).

العدد ٢٠٠٦/٤٨

الأحد ٢٦ تشرين الثاني

تذكار أبوينا البارّين أليبيوس العمودي ونيكُن المستتيب

اللحن السابع

إنجيل السَحَرْ الثاني

الإنجيل

(لوقا ١٨:١٨–٢٧)

في ذلك الزمان دنا إلى يسوعَ إنسانٌ مجرِّباً لهُ وقائلاً أيُّها المعلّمُ الصالحُ ماذا أعملُ لأرثَ الحياةَ الأبديَّةَ* فقالَ لهُ يسوعُ لماذا تدعوني صالحاً وما صالحٌ إلاَّ واحدٌ وهو الله* إنَّك تعرفُ الوصايا لا تزنِ، لا تقتُلْ، لا تسرقْ، لا تشهَدْ بالزور، أكرِمْ أباك وأمَّك* فقال كلُّ هذا قدْ حفِظْتُهُ منذُ صبائي* فلمَّا سمِعَ يسوعُ ذلك قال لهُ واحدةٌ تعوزُك بعدُ. بِعْ كلَّ شيءٍ لك ووزِّعْهُ على المساكين فيكونَ لك كنزٌ في السماءِ وتعالَ اتبعْني* فلمَّا سمع ذلك حزِنَ لأنَّهُ كان غنيًّا جدًّا* فلمَّا رآهُ يسوعُ قد حزِنَ قال ما أعْسَرَ على ذوي الأموالِ أن يدخلوا ملكوتَ الله* إنَّهُ لأسهلُ أنْ يدخُلَ الجَمَلُ في ثَقبِ الإبرَةِ من أنْ يدخُلَ غنيٌّ ملكوتَ الله* فقال السامِعون فمَن يستطيعُ إذاً أنْ يخلُصَ* فقالَ ما لا يُستطاعُ عند الناسِ مُستطاعٌ عند الله.

تأمل

مَن منكم حكيمٌ فليُرِني حسن أعمالِه من تصرُّفه بتهذيب الحكمة. ولأجل ذلك لا أكفُّ عن تذكيركم وتنبيهكم ومفاوضتكم في ما يجب حتى أراكم

بعد أن يدفع الجميع إلى الاتضاع يوضح بولس الرسول كيف أن المسيح «جعل الاثنين واحدًا» (أف ٢: ١٤)، أي اليهود والأمميين وبالتالي كافة البشر، وذلك لأنه صالح الإنسان مع نفسه ومع قريبه ومع الله من خلال هدمه الحاجز الذي خلق عداوة بين الله والبشر (وبالأحرى الناس هم الذين عادوا الله)، وهذا الحائط هو الخطيئة. في الواقع يحاول الشيطان أن يخدعنا يوميًا لكي نخطئ وبالتالي نفقد سلامنا مع أنفسنا ومع الآخر ومع الله. أما المحافظة على السلام فتتم عبر التغلّب على الخطيئة والشيطان وتعلّم المحبة، وبما أننا بشر ضعفاء واقعون كلنا تحت سلطان الخطيئة والموت، نحن بحاجة لمن يرشدنا إلى هذه الغلبة. من هنا كان ضرورياً أن يتجسّد ابن الله لأنه الوحيد الذي يستطيع أن يهزم الشيطان وأن يبقى بلا خطيئة وأن يطيع في المحبة حتى الموت، وهكذا أرانا كلنا طريق الخلاص وجمع الكل إليه ليغلبوا معه: «ويصالِحَ الاثنينِ في جسدٍ واحدٍ مع الله بالصليبِ قاتلاً العداوةَ بهِ» (أف ٢: ١٦).

لقد حقق المسيح عمله الفدائي لكل الناس الذين تحت الناموس والذين لا ناموس لهم، وهو الوحيد الذي نصل به كلنا إلى الآب ونتصالح مع الكل ونصبح من أهل البيت فلا نعود غرباء ونزلاء لأن الغريب والنزيل هو الذي يسكن في مكان ما بصورة عابرة لا حقوق له أو له بعض الحقوق فقط، أما أهل البيت فلهم كافة الحقوق ويرثون كل شيء: «لأنَّ بهِ لنا كِلَيْنا قدومًا في روحٍ واحدٍ إلى الآبِ، فلستمْ إذاً بعدُ غرباءَ ونُزُلاً بل رعيةٌ مع القديسينَ وأهلِ بيتِ الله» (أف٢: ١٨–١٩). وكلمة «قديسين» هنا تعني كل المسيحيين الذين هم أعضاء جسد المسيح أي الكنيسة.

تتّضح صورة الكنيسة كبيت لله في الآية (أف ٢: ٢٠) حيث يكون أساس البناء: الرسل والأنبياء، وحجر الزاوية هو المسيح. وبما أن الرسل والأنبياء لا يضعون أساسًا من أنفسهم بل يعتمدون على المسيح، لذلك يصبح المسيح هو الأساس وهو حجر الزاوية، هو الذي يجمع الكل في جسده أي الكنيسة كما يظهر في الآيات: «الذي فيهِ كلُّ البناءِ مركَّبًا معًا ينمو هيكلاً مقدَّسًا في الربِ، الذي فيهِ أنتمْ أيضًا مبنيّونَ معًا مسكنًا لله في الروحِ» (أف ٢: ٢١–٢٢). استخدام بولس الرسول للفعل «ينمو» يظهر أنه يعتبر الكنيسة ليس فقط بناءً، بل جسدًا ينمو ويتغذّى من المسيح، يكون المسيح فيه الرأس ونحن الأعضاء. فلنسأل الله أن يؤهّلنا جميعًا لكي نكون أعضاءً فاعلة في الكنيسة جسد المسيح لكي نغرف من سلامه ونتشبّه بالقديسين الذين حافظوا على سلامهم الداخلي ولم يفقدوه رغم كل الاضطرابات التي أحاطت بهم.

لماذا تدعوني صالحاً

«أيها المعلم الصالح، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية»، يقول ذاك الإنسان مخاطباً السيد في مطلع إنجيلنا لهذا اليوم، والسؤال على عمقه اللاهوتي هو وجودي وجداني بامتياز. السؤال شخصي الطابع، «ماذا أعمل (أنا)»، أقلّه في الشكل والصياغة. هو أيضاً تساؤل مألوف لدى المؤمن الجاد في طلب ملكوت الله وبرّه. السؤال إذاً يطرح عدَّة أسئلة: على أية قاعدة أبني رجائي في الحياة الأبدية؟ هل يكفيني أن أكون منتمياً إلى جماعة أهل بيت الله أو أن أكون أميناً للشريعة وإن كانت شريعة الله؟ السؤال في مطلع

ذاكرين دروسكم حافظين تعاليمكم عاملين بأقوال ربكم غيورين على عمل الفضائل مبتعدين عن طرق الرذائل لكي أسرَّ أنا بحسن أعمالكم وابتهج بجميل مجازاتكم وافرح بدخولكم مساكن النعيم. فإن قلتم وما الذي يدلُّ على ذلك من أعمالنا قلت هو أن أراكم مُحبّين لعمل الفضائل كالصلاة والصوم والصدقة والرحمة والمحبة وأمثال ذلك ومبغضين للرذائل كالغضب والحسد والنميمة وحبّ المال الذي هو سببٌ لتولُّد الشرور كلها وأداةٌ لعمل الهالكين. فإن قلتم وكيف نقدر على بغض المال وهو قد جُعِل واسطةً لتحصيل الأمور الضروريَّة التي نحتاج إليها. قلت ان الكلام عن المال الذي يدخل من الوجوه المحرَّمة ويُنفَق في سبيل اللذّات العالميَّة لا في ما يُكتَسَب من الوجوه الجائزة ويُنفَق في اللوازم الضروريَّة لقوام الحياة وفي مصالح الفقراء. ولا تظنَّ ان الازدراء بالأموال أمرٌ جسيمٌ فإنك إذا أمعنت النظر ترى كثيرين من الناس يفعلون ذلك طلباً للمديح من الناظرين وذلك انك تجد قوماً يتركون الأموال الكثيرة ويَدَعون الأملاك والضياع والأمتعة والزراعات ويطوفون في القفار وينقطعون في الجبال والمغاور طلباً للمديح من

هذا النص يوحي أبعد من ذلك: إن الرجاء في الحياة الأبدية مبني على قاعدة «ماذا أعمل» و«ماذا أفشل في عمله أو أتقاعس عنه». ولكي لا يظهر لأي كان أن أفعال الإنسان هي مفتاحه الوحيد إلى الحياة الأبدية، تأتي عبارة «لأرث» مذكِّرة بوعد الله لأبي المؤمنين إبرهيم بميراث لا يزول، ومنحه الحياة الأبدية ختم بركة الله لهذا الميراث.

بالعودة إلى نصّنا الحاضر، يفتتح السائل كلامه بعبارة «أيها المعلم الصالح». الرب يسوع وسابقه يوحنا المعمدان أُطلِق عليهما لقب «المعلم»، أما صفة الصالح المضافة هنا فتأتي وكأنها إعلان صريح أو اعتراف ذاتي ببرارة يسوع وفضيلته، وتالياً بقبوله مرجعاً صالحاً للإجابة على هذا المستوى من التساؤلات . ولأن اعتبار يسوع صالحاً لا يأتي من انحداره من سلالة كبار المعلّمين بل من شخصيته التي تشع برًّا وصلاحاً، يقول الإنجيلي لوقا إن ذاك الإنسان أتى إلى السيد «مجرّباً» وفي كلامه هذا تملّق خبيث. المؤمن يأتي إلى السيد ممجِّداً لا متملّقاً، سائلاً بحق لا مجرِّباً، لأنه بالإيمان واعٍ أن الرب يقبل طلبة المؤمن المتواضع. بالنسبة لنا هل نأتي إلى الرب مجرِّبين أم واثقين به؟

في الآية التالية يرد السيد المبارك السؤال إلى صاحبه بحدة، لا انفعالية بل تعليمية. بدلاً من أن يتلقى مناداته بالمعلِّم الصالح تفخيماً ينتهزها سانحة ليرسي تعليماً كبيراً. «ما صالح إلا واحد هو الله» يقول الرب يسوع. في الموقف إذاً أن الله وحده هو منبع الصلاح، لا صلاح حقيقي خارجه وهو المعبود الأوحد. الرب يسوع يسدِّد انتباه السائل إلى الله ليقول له بأن لا يطلب برًّا أو صلاحاً إلاَّ من الله، وإن كان مِن صالحٍ فهو صالحٌ لأنه من الله. هكذا ينقل الرب يسوع الموقف إلى مستوى أعمق لاهوتياً، ويدعو الإنسان في الآن عينه إلى موقف شخصي وجداني. أن تدعوني صالحاً، وما صالح إلاَّ الله، فأنت على واحد من إثنين: إمّا متملّق تهوى الألقاب خداعاً أو مؤمن تناديني بصفة من صفات ألوهتي، وتكون بالتالي معترفاً بي إلهاً ومخلصاً.

للتو ودون انتظار ردة فعل محدّثه، ينتقل السيد إلى الإجابة عن السؤال بالمقدار اللازم، واضعاً السائل من جديد أمام مسؤوليته. «أنت تعرف الوصايا...»، يقول الرب. هذه العبارة من فم المبارك هي أساس من أساسات النمو الروحي، الإرتقاء من مجد إلى مجد حتى اقتناء الحياة الأبدية. الشريعة أو مجموعة الوصايا التي نزلت للبشر بصيغة الأمر والنهي، هي في بنية الإنسان الروحية أساس. حفظ الوصايا والتزامها يعلِّمان مخافة الله، مخافة الله تحفظ الإنسان مثبِّتاً ناظريه في العلى... والمكوث في حضرة الله ينشئ لدى الإنسان حسن تذوّق الحب الإلهي، المدخل إلى الحياة التي لا تزول.

«واحدة تعوزك بعد...»، يقول السيد الرب. بعد اعتناق الوصايا ناموساً للحياة (كل هذا قد حفظته منذ صبائي)، حان أوان الانتقال إلى المستوى الأعلى بل الأسمى، أي حسم الموقف من أولويات الحياة. ذروة المشهد الإنجيلي هنا، أربعة أوامر تتوالى سريعة دونما تفسيرٍ أو توسيع لأي منها: بِعْ كل شيء، وزعه، تعالَ، اتبعني. لافت للغاية أن الوعد بالكنز السماوي يأتي لا بعد «تعالَ اتبعني» بل بعد «وزعه على

الناس الذين ينظرونهم أو يسمعون أخبارهم. وتجد آخرين يجهدون أنفسهم ويتعبون ويحتالون ويظلمون ويُحصِّلون الأموال من أقبح الوجوه ولأجل حبّ المديح من الناس يصرفونها في ثمن الملابس الفاخرة والأواني النفيسة وغير ذلك مما لا تدعو الحاجة إليه. وترى قوماً آخرين يهتمُّون بعمل الأطعمة الشهيَّة وتصفية الخمرة اللذيذة ويُعِدّون أنواع النُقل والفواكه والأزهار والملاهي وينهمكون في أمورٍ أُخَر كثيرة يطول شرحها ويدعون أناساً من الأغنياءِ والأكابر ليتنعَّموا معهم ويحصلوا بذلك على المديح والافتخار. وربَّما لو أتاهم في ذلك الوقت فقيرٌ جائعٌ وطلب منهم ما يسدُّ جوعهُ بهِ لردُّوهُ خائباً وأحياناً يشتمونهُ ويطردونهُ خارجاً.

... ويا للعجب كيف اننا ننفق الأموال الكثيرة ونصرف النفقات الجزيلة ونُتعِب أجسادنا وأولادنا وخدَّامنا طلباً للإفتخار والمديح الذي يضمحلُّ كالدخان ويمرُّ كالبروق والرياح وينتسخ كالظل وينتثر كالهباء. ولا نجعل هذه العناية في الذخائر الباقية التي لا تزول. وكيف يحسن بالعقلاء أن يطلبوا الشرف من معادن الخساسة ولا يطلبون ذلك من الخالق عزَّ وجلَّ.

القديس يوحنا الذهبي الفم

المساكين»: «بِعْ كلَّ شيء لك ووزعه على المساكين فيكون لك كنز في السماء وتعالَ اتبعني». هل لأن إطعام المساكين أو التخلّي عن المقتنيات هو بحدّ ذاته أهم من الإتيان إلى المسيح واتّباعه سيداً؟ قطعاً لا. وضع السيد وعده هنا تشديداً على موضع القرار، على أهميَّة الفصل وتحديد الأولويات، وردة فعل ذاك الإنسان خير دليل. كما أن الرب علَّم ان الطريق إليه تمر عبر الآخر. أن تطعم الجائع وتسقي العطشان وتأوي الغريب وأن تحب أخاك الذي تراه. «حزن لأنه كان غنيًّا جداً» يقول الإنجيلي لوقا. حزن هذا الرجل لمجرد فكرة التخلّي عن ثرائه، التخلّي عما أوكله الله به. لأن كل عطيّة هي من الله ونحن وكلاء عليها... أما الذين حسموا أمرهم واختاروا الحياة في الله، فهؤلاء للكلمة عينها التي أحزنت ذاك اليهودي يفرحون فرحاً ويمتلئون رجاء.

عيد البار بورفيريوس الرائي

بمناسبة عيد أبينا البار بورفيريوس الرائي يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الجمعة ١ كانون الأول ٢٠٠٦ أمام مذبح أبينا البار بورفيريوس في كنيسة القديس نيقولاوس في الأشرفية وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح السبت ٢ كانون الأول في كنيسة أبوينا البارين أنطونيوس الكبير وبورفيريوس الرائي في دار المطرانية.

من أقوال أبينا البار بورفيريوس الرائي

حياة الوالدَين داخل البيت وحدها تحمي وتُنشئ أولاداً صالحين. يجب على الوالدَين أن يُعطوا أنفسهم لمحبة الله. يجب أن يصيروا بوداعتهم، بصبرهم، بمحبّتهم لبعضهم، قدّيسين بالقرب من أولادهم. وأن يضعوا كلّ يوم خطًّا جديداً وشوقاً جديداً، وغَيرة ومحبّة للأولاد. والفرح الذي سيغمرهم والقداسة التي ستكون قد زارتهم، سوف تُطلِق النعمة للأولاد، وسوء تصرُّف الأولاد ينتج عن خطأ الأهل بشكل عام. لا النصائح ولا النظام ولا القساوة تخلّص الأولاد. إن لم يتقدَّس الوالدون ولم يجاهدوا يرتكبون أخطاءً كثيرة وينقلون الشرّ الذي في داخلهم. إن لم يعش الوالدون حياةً مقدَّسة، إن لم يتكلَّموا بمحبّة، يُعذّبهم الشيطان بردَّة فعل الأولاد. المحبّة، وحدة الحال، وتفاهم الوالدَين الجيّد كلُّها واجبة ولازمة للأولاد، وهي تُعطيهم أماناً كبيراً وثباتاً.

سلوك الأولاد له علاقة مباشرة بحالة الأهل. عندما ينجرح الأولاد من سوء تصرُّف فيما بين الوالدَين، يفقدون قواهم وشوقهم وتأهُّبهم للسَير إلى الأمام ويُفسدون بناءَ أنفسهم ويُعرِّضون هذا البناء لحظة بلحظة للخطر حتى الهدم.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb